بخيبة أمل إضافيةٍ وصدىً وحيد

طارق العربي

حيلة

ثم سَيمسكُ بحيلة المحب وعذره

ويسألك لو تأتين من هناك، لو تخرجين من صفحة الكتاب الأخيرة

لو تغفرين له زلة اللسان وتأتأة الجسد،

ثم سيقول إنه يهتدي بيديك في العتمة

وإنه يخاف يمد يده ويخاف يناديك، لكي لا يراكِ خلفه حين يصعد سلم الكتابة ،

حين يهبط من درج الليل، سيقول أشياء من قبيل إنه بحاجة لك

وأنه لا يعرف الصواب من الخطأ ،الظل من الضوء، مثل الفرق بين الرجال والنساء،لا يعرف وسيبرر الأمر بالفراغ الشاسع الذي يخلقه ليل الوحيدين،

الفراغ الذي ينمو أكثر فأكثر في منفاك، في منفاه،

ثم أنك اليد التي يكتب بها،

أنك اللغة حين تهجر بيت صاحبها

كي ترتب صباح البنت،

ثم سيطفئ النار وينادي اسمك

بكل ذلك الحزن

بكل ذلك الرجاء

أسنان مكسورة

بعدد ذلكَ

سننتبهُ أنّنا حاولنا جاهدينَ الابتعادَ

حاولنا الخروجَ من البيتِ والصُورةِ والإطارْ،

حاولنا ذلكَ مثل سُكّانِ المُدُنِ البَعيدةِ

حيثُ لا ينتبهُ سائقُ "التاكسي" إلاّ للطَريقِ

حيثُ للنساءِ وظيفةٌ أخرى غَيْر هذهِ

وللشُعراءِ وظيفةٌ أخرى غَيْر الغَزَلِ والبُكاءْ

وللجُيوشِ وظيفةٌ أخرى غَيْر القَتل

سننتبهُ أنّنا رَمَيْنا الإطارَ بالحِجارةِ

وأنَّ الصُورةَ بَقِيتْ مَكانها تُحدّقُ بالأبناءِ الوَرَثة.

وأنَّ الأبناءَ يُشبهونَ الآباء، الصَلَع ذاته

العُيونُ ذاتها، ذاتها التي تُحدّق دونَ أنْ تَفْعلَ شيئاً

والمَرَضُ ذاتُه، رائحةُ الفَمِ والأسنانِ المَكسورَةِ

والمشي دونما خطوط واضحة

مع أنَّ الأبناءَ لا يُحبّونَ الآباءْ

مع أنَّ الأباء لا يطيقون الأبناء

مَعَ أنّنا حاولنا

سننتبه أنَّ الغِناءَ كانَ يُعيدُنا عِنْدَ الباب

أبناً من صنع الأيام.

صدى للثلاثين

إن لم تفعل شيئاً حتى الثلاثين

إن لم يكن لك بيتاً، امرأة وثلاثة أطفال

و سيارة تقف على الباب، سيارة أوبل سكونا،

موديل ٨٨ على سبيل المثال،

إن لم يصطدم صوتك

بصوت آخر في الفراغ،

تناديه أو تسأله على الأقل،

عن مكان الحذاء ولون القميص

تناديه بياء النداء المحببة،

أن تعال وأطفئ الضوء

ولا تثقل الخطوة حتى

لا يلمحك الهواء والأعداء

إنني في الثلاثين الآن، قربها، قرب القيامة

بخيبة أمل إضافيةٍ وصدىً وحيد.

كي تكون ذلك الشاعر

كي تكون شَاعراً

عليك أن تستطيع اعادة قلبك اليك

كل مرة، بعد كل حب، بعد كل حرب

وأنت تتفقد الذي ضاع منك

وأنت تتفقد أسماء الموتى

وأنت تتفقد أباك في الغرفة المجاورة

المؤجل من كلامه والرضا

عليك أن تنصت وأنت تتفقد كل ذلك

حين يوحى لك بالموت

حين يوحى لك أن الموت يهبط الآن

ولا تابوت للموت و لا قبر

الأمر كله يشبه أن تنادي

ولا يجيبك أحد

كي تكون ذلك الشاعر

ذلك الروائي

يلزم أن تذهب بيأسك وحدك

كل ما هو لك هو اليأس

والقصيدة تبدأ بكلمة واحدة

مهمة الآخرين _

الشاعر والقاص والناقد

هؤلاء الذين يقولون لك " شاعرٌ شاب"

أو : نرفع القبعة لك كي تمر أيها الشاعر

أخذك بعيداً عنها

تفقد كل ذلك ولا تنس

وأنت تمشي بجانب المرأة التي تحب

وأنت تنادي يديها في الليل

مفتاح الحب الغموض

مفتاح القصيدة الألم

من ثم ثق بنفسك أنت وحدك
ولا أحد سواك، لا أحد سواك
يقطف ثمرة هذه الشجرة

حاجة

أحتاج من يمسك يدي
من يتفقدني في غيابي وينادديني
إن نسيت أو تأخرت ...
أنا انسى دائما
ولا أتذكر إلا جرس الانصراف ،
و الموت جرس يرتب مواعيده
حتى يجيء وينادديني
أحتاج من يلومني في شؤوني الصغيرة
من يغلق الباب بوجه أصدقائي
ويفتح لي باب العتاب.
ومن يذكرني بواجبات الناس
بيوت العزاء والأعراس والأصدقاء
وبواجب الأخوات البعيدات.
أحتاج من يشتري فاكهتي الذابلة
من يمسك يدي و يقول لي :من هنا الباب
صباح الخير ولا ترجع حتى المساء
أو شيئاً مثل هذا.

أحتاج من يُذكرني بالصباح
أو يذكره بي.

أو يطرق الباب ..!

كان يفكر بك في الطريق إلى نابلس، وتذكر
كيف نسيَ وصف شعركِ حين حرّكته الريح المعاكسة.
أراد وصف غموضك وقدرتك المصطنعة على عدم الانتباه، ونسيَ..
رغم أنكِ منتبهة لصوته وانفلات يده في الحديث.
تذكر أن الوصف بقي خلف الصورة دون أن يكتبه أو يقوله.
تذكر وهو ينظر لمصاطب الجبال.. أن الجبال ستركض
ستركض حتى تصل نابلس بدمشق...
حتى تختفي أو يطرق الباب .

توقعُ الطالع

يأتي من يديكِ
وأنت نائمة أو مشغولة بالأولاد
من التعب المحموم الذي في سعي الأولاد
من المنسي في ذهاب الآباء في ممالك الكدّ والهمّ
ويأتي هكذا من دون موعد ودون طرقٍ على الباب
مثل صوفي يأتي ومن حوله السر..
حوله الطرق والمنحدرات
حوله أنبياء ماتوا ورحالة منسيون على شكل علامات ونذور.
حوله باعة بضاعتهم الحظ، وممثلات برعن بخطف الرجال..

حوله الحراس والاستعارات المنسية مع ملوك الجان.
حوله الأسماء وقد ذهب بأصحابها حتى آخر الضوء
حوله الآباء والأبناء وقد علقوا الأسماء على الأشجار
حوله البدايات والنهايات ونبوءات من ذهبوا.
حوله اللا أحد واللا شيء.

يد

يد أخرى غير يدي
كانت تربت على كتفك
وتلوح لك من آخر الطريق
بينما كنت أعيد الندم إلى أوله
مثل من خط سطراً في الهوى ومحا
ومثل من نام ولم يسمع الصوت.
لم أكن أعرف هكذا أقول
يد أخرى غير يدي
كانت تفعل كل هذا
تناديك وتفتح
لك باب البيت ...!

عشرة ظلال وأكثر من أم

يا أخي عشرة جمال أتين من الحجاز
بما حملن من الدعاء والرضى
هن لك من أبيك

فهون الأمر كي لا أضيع وتضيع.
وذكرني بسوء العقبى إن تركت الخوف وأشياء الله
عند الناس الأمانة وما تأبى الجبال حمله...!
وذكرني بمن يمشون معنا وحيدين
دون دور لأب أو أم
منسيون في الزوايا
هؤلاء الذين أتوا مع الصبح
لا هم عرفوا الصبح ولا صبح يعرفهم
منسيون مثلنا وأكثر في التعب.
وذكرني إن نسيت قسم الرزق في العدل
على عشرة ظلال وأكثر من أم.
ذكرني ولا تزوّر النوايا
نحن اثنان لا ثالث لنا ولا أبناء
يخفضون جناح الذل والرحمة
أو نسندهم بالدعاء ... !

وصف الخسارة

قل لها إنني متُّ في الحرب
قل لها إني ميت ووحيد
وإني أجالس الموتى في العتمة
أراجع درس الخسارة
وأعيد كتابة الندم مثل جندي.

قل لها أي شيء، أي شيء
غير أنني حي وبرصاصة بالظهر.

قل لها أن تحب سواي،
إني حزين وطفلتي ميتة لو تمشي معي أو تذهب
وإن غنائي يطير مثل طير جفل من غريزة القناص
وإنها إن رجعت ستصحو على ليل مذعور
قل لها كل ذلك، وحين تبكي،
اتركها وامضِ دون أن تتلفت ... .

محمود درويش
لم نَلتق أنا وأنت عَلى طَلَلٍ لِنبكِي مَعاً، لم نَلتقِ
لأنجو مِن حَتف الُمنَادِي على الأَسمَاء
ما اسِمُك وما اسمِي
لا أسئلة للأسماء

وقد مات أَصحَابها
كُل ما أَحببناه فِي الطَرِيق إلى النَشِيد يَسقُط
حتى نَحنُ شعراء القِيامة
نمر سريعاً مِن أَمام النَشيد ونَسقُط
نَحن شُهود الزور عَلى مَوتِنَا
وما لنَا فِي الطَرِيق جَنازة أو أَضرِحة.

كومبارس

أحبُّ دوري في الحبِّ
أنا المسكينُ واليتيمُ قبلَ وبعدَ كلِّ حبٍّ
أحبُّ الخائفات مني،
الخائفاتُ حَذِراتُ لا مفاتيح لهن ولا باب
أحب المرتبكات أول الحبِّ،
المرتبكات أول الحبِّ أمهات خائفات من دور الأمومة
أحبُّ الوحيدات،
الوحيدات يشبهن الشيفون ومخاتلة الستان
إذ يلمعن بسرير الوحيد عند الليل ...!
وأحبُّ دور الفتى المُتيم والمُتلبس
بأشيائه، العمى والمشي دون خطوط
واضحة.
أحبُّ الحبَّ وأحبُّ دوري أنا المسكين في كلِّ مرة
وكلِّ كرة.

ابنةُ الأربعين

كما البناتُ اللواتي وصلنَ الأربعين
لا حظَّ لهنّ، لا أسماءَ لهنَّ،
لا صوتَ لهنَّ
منسياتٌ في عزلةِ البيوت
في الغرفةِ المجاورةِ لغرفةِ زوجةِ الشقيقِ في بيته
وفي الشارعِ الطويلِ حين تمشي وحيدة

لجلبِ حاجاتِ أولادِ الأخِ يومَ العيد...!
تطوي نابلس نهارَها
كما البناتُ اللواتي لا ينتظرن شيئاً من الأخِ أو ابن الأخ
لا ينتظرن إلا الحظَّ الجميلَ والودَّ؛
الودَّ الذي يملكُ مفاتيحَ البيوتِ كلِّها
والودَّ الفاكهةَ المنسيةَ عند وصلِ البنات
وكما الصغيراتُ حين يكْبرنَ ترتدي نابلسُ حجابها
فتحبُّكَ وتحبها من خلفِ حجاب
كأنك ابنُ عمِّها الذي جاء من سفر
أو الغريبُ ...!

وكما بناتُ الشهداء،
ترثُ نابلسُ سَطوةَ الاسم وسطوةَ القصة،
القصةُ التي تُحرّفُ فيخلو ماضي صاحبِها من أخطاءِ الصيفِ والليل
كأنْ يُقالَ في المتنِ، مات مُبتسماً
والاسم الذي يصيرُ شارعاً ومدرسة
كأن صاحبه مات دون بنين يرثون أغراضَه القديمة
معولَه أو ثيابَه.
الأشياء التي لها رائحة بالضرورة
كالطريقِ باتجاه البيتِ بعد جلبِ حاجاتِ البنات
من السّماء ...!